جدار الموت

محسن حسني

تتعالى الضحكات وقد إكتظ المقهى بعشرات من الرواد ما بين مشاهد للتلفاز ولاعب، وأخر ينادي متعجلًا لطلباته التي تأخرت ، وفي إحدى الأركان كانت هناك طاولة يجلس عليها شابان ،وقد بدت على أحدهما علامات القلق وهو يدخن بشراهة حتى إختفت ملامح وجهه خلف سحب كثيفة من الدخان.

-أحمد : كتير كده يا جمال، لو مش علشان صحتك يبقى علشاني، أنا أتخنقت!

-جمال وهو يُطفيء سيجارته: معلش ، اليومين دول أنا مش مظبوط.

-أحمد: خير فيه إيه؟ أنا ملاحظ فعلًا إنك متغير، أنا قلت حتى إنك هتستقر نفسيًا شوية بعد ما تنقل شقتك الجديدة!

-جمال بضيق: المشكلة هي الشقة نفسها.

-أحمد مستغربًا: إزاي يعني؟

-جمال وقد بدت عليه علامات الفزع:

الشقة بتحصل فيها حاجات غريبة، الشقة دي مسكونة!

كانت كلمات جمال الأخيرة كافية لينظر إليه أحمد بسخريةٍ، ثم ينطلق ضاحكًا.

obeikandl.com

-أحمد ضاحكًا : انت لسه بتصدق الهبل ده ، محدش هيضيعك إلا أفلام الرعب اللي بتشوفها دي!

-جمال بصوت متقطع : صدقني ، أنا بسمع أصوات غريبة بتناديني وواحدة ..

يكف جمال فجأة عن الحديث إذ يشعر إنه تسرع في الحديث مع أحمد .

-أحمد: كمل كلامك، واحدة إيه؟ واحدة ست؟

-جمال وقد إحمر وجهه: أيوة ست لابسة أبيض، وبتطلع من الجدار.

-ينطلق أحمد ضاحكًا مرة أخرى : يا عم لو مش عاوزها ابعتهالي ،طول عمرك فقري !

-ينهض جمال غاضبًا: إنت لو مكاني مكنتش قلت كده!

-ينفجر أحمد ضاحكًا، وهو يرى جمال مغادرًا المقهى وقد شعر بالأسى نحو صديقه، لكنه كان يعلم جيدًا أن إكتئاب صديق طفولته سيتلاشى تدريجيًا مع مرور الوقت وأنه سيعود لطبيعته عاجلًا.

تمر الأيام وتنقطع أخبار جمال، مما يشعر أحمد بالضيق خاصة بعد لقاؤهم الأخير، يقرر أحمد الذهاب للإطمئنان على صديقه، يقرع أحمد باب الشقة لمدة طويلة قبل أن يفتح له جمال باب الشقة، يطلق أحمد صرخة مكتومة، لم يكن جمال الذي يعرفه، بل شاب هزيل شاحب كأنه جثة متحركة، يفيق أحمد من الصدمة ويمد يده ليصافح صديقه الذي أشاح بيده مطلقًا ضحكات هستيرية، ضحكات قد بثت فيه الرعب، العديد من التساؤلات تدور في ذهنه لم يفق منها إلا على قوة هائلة تدفعه خارج الشقة ليغلق الباب بعدها بعنفٍ، قوة لا يمكن أن تكون لصديقه جمال أو لهذا الجسد النحيل الذي رآه للتو.

يهرول أحمد في اتجاه منزل أسرة صديقه فقد يكون لديهم إجابات لتلك الأسئلة التي تتصارع في ذهنه، يطرق الباب لتفتح له أم جمال التي تحتضنه وقد انهمرت دموعها على كتفيه .

-أم جمال: فينك يا إبني اتأخرت علينا أوي، جمال كان نفسه يشوفك.

-أحمد: ما هو ده يا ماما اللي أنا جاي علشانه، جمال حالته وحشة أوي!

-تقاطعه أم جمال: أهو خلاص إرتاح يا ابني، الله يرحمه .

-أحمد وهو يرتعش : تقصدي إيه؟

-أم جمال وهي تبكي: جمال مات يا ابني ودفناه من يومين.

كان قلب أحمد يدق بعنف وقد إنهمرت دموعه وعلا نحيبه، ولكنه سرعان ما أفاق وهو يتساءل إذا كان جمال قد توفى من يومين، فمن الذي فتح له باب الشقة ورآه من دقائق؟!

بدت القشعريرة تدب في جسده وشعور بالذنب يمزقه لأنه لم يستمع لصديقه وتمادى في سخريته، ربما لو استمع إليه لما وصلت الأمور إلى هذا الحد، ما هي الأسرار التي تخفيها تلك الشقة؟ من تلك السيدة التي كان جمال يتحدث عنها في رعب ؟ ما الذي أودى بحياة صديقه؟

-أحمد: البقاء لله يا ماما واعتبريني جمال، ولو احتجت أيّ حاجة أنا تحت أمرك.

-أم جمال (باكية): الله يخليك يا ابني ،المرحوم كان بيعتبرك أخوه.

obeikandl.com

أحمد في خجل: طيب، لو سمحتِ ممكن مفتاح شقته لإن فيه أوراق خاصة بشغلي كنت شايلها عنده، معلش أنا عارف الظروف مش مناسبة.

تمضي أم جمال وتعود بعد وقت قصير لتعطي أحمد مفتاح الشقة وهي تدعو له بطول العمر، كان أحمد يجهش بالبكاء وهو يهبط درجات السلم بسرعة وهو عازم أن يجد كل الإجابات في تلك الشقة التي قضى فيها صاحبه نحبه وقد خذله بتخليه عنه وقت الشدة.

يمضي مسرعًا إلى شقة جمال، وما أن يضع المفتاح في الباب حتى تنطلق منه صرخة قوية، إذ فتح الباب وحده وفُوجيء بقوة هائلة تدفعه للداخل، يغلق الباب بعنفٍ، يصرخ أحمد وهو يحاول الخروج لكن تذهب كل محاولاته سدى، كان هناك شيء مجهول يدفعه دون أن يستطع الحراك نحو تلك الغرفة، كانت غرفة جمال صديقه وقد بعثرت محتوياتها وكأنه كان في حالة حرب في أيامه الأخيرة.

كان هناك صوت نسائي ناعم ينادي عليه، يلتفت أحمد خلفه ولكنه لا يجد أحد ، ثم يستمر نفس الصوت في مناداته ويتذكر كلمات جمال الأخيرة عن سماعه لسيدة تناديه بإسمه، كان يرقد على الفراش دون حراك و عيناه شاخصة للجدار الذي أمامه وقد انفتح لتخرج منه سيدة وقد أحاطت بها هالات مضيئة مرتدية ثوب أبيض شفاف يظهر من جسدها أكثر مما يخفي، كان جمالها كفيل بأن يسحر أقوى الرجال ولكن ليس لمن هم في تلك الظروف!

تتقدم نحو أحمد بدلال وتنزع عنه ملابسه وتلقي بنفسها بين أحضانه عارية، كانت تغتصبه وتنتهك جسده الشاب بقوة وعنف، وهو فاقد لحواسه وكأنه مكبل بسلاسل حديدية إلى الفراش، كل ما يشعر به هو إنه ينظر لإمرأة جميلة تمارس

معه الجنس من طرف واحد وهو بلا حراك، تنهض من على الفراش لتقف بجوار أحمد مبتسمة وقد زادتها الابتسامة حُسنًا وجمالًا، ويشعر أحمد أنه يستطيع الحركة، يحاول أن يمسك يدها ولكن يدها تتلاشى بين يديه.

-أحمد في دهشة: انتي مين؟!

-ترد ضاحكة : أنا اللي اتمنيت إني أظهر لك لما جمال كلمك عني، إيه رأيك بقى حلوة؟

-أديني حققتلك طلبك.

-أحمد في رعب : طيب هخرج من هنا إزاي؟

تنطلق ضحكة شيطانية، وهي تعطيه ظهرها لتدخل في الجدار مرة أخرى:

-ومين قال إنك هتخرج من هنا تاني؟

لم تكن الكلمات هي ما بثت الرعب في قلب أحمد، ولكن لأن الصوت قد تغيرت نبرته وصارت أكثر حدة، كانت الكلمات نابعة من رجل وليس امرأة، رجل يميز صوته بسهولة، يهرع أحمد خلفها محاولًا منعها من الدخول للجدار مرة اخرى، تلتفت إليه بعنف ولكن هذه المرة لم يكن وجهها الساحر الذي طالعه لكنه كان وجه صاحب الصوت، صديقه جمال!

يطلق صرخة مدوية وهو يراها تختفي، وقد جحظت عيناه ليسقط صريعًا بلا حراك.

obeikandl.com